دائرة الثقافة
إدارة الشؤون الثقافية

جمهورية مصر العربية
وزارة الثقافة

2

ملتقى الشارقة للسرد

الدورة 21

الرواية والذكاء الاصطناعي

9 - 10

سبتمبر ٢٠٢٥

المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة
جمهورية مصر العربية

الشؤون الثقافية
CULTURAL AFFAIRS

sharjahculture

www.sdc.gov.ae

الرواية بين التخييل البشري والذكاء الاصطناعي

د. محمود الضبع

الأدب في إجماله وظيفة إنسانية رفيعة المستوى، وصيغة من صيغ التعبير التي لا يقدر عليها سوى خاصة الخاصة من الناس، فهو ليس مجرد تنظيم للغة، أو ترتيب لعناصرها وتراكيبها وجملها، وإنما هو إنتاجها على غير مثال سابق، وتوجيهها نحو خلق معان وتراكيب وصور وأخيلة جديدة، وباتساق محكم يعتمد الخيال في المقام الأول، ويعالج الدواخل الإنسانية والمشاعر العميقة للبشر في المقام الثاني، ويؤكد على فكرة الإقناع حتى لو كانت الأفكار المتداولة أبعد ما تكون عن الواقع الذي نعرفه أو نتداوله أو نعيشه جميعا.

فهل تستطيع الآلة بتطبيقاتها أن تفهم كل ذلك وأن تعبر عن المشاعر بما يحاكي أحاسيس ووجدان البشر؟ هل تستطيع الوقوف على تفاصيل الحالات المتغيرة للإنسان بين الرضا والغضب والحب والكره، والتي يمكن أن تحدث فيها وبينها التحولات بين لحظة وأخرى تبعا للمثير والاستجابة، وتبعا للمزاج الإنساني المتغير تبعا لعشرات المعطيات والدوافع والنزعات الداخلية، وعشرات المؤثرات الخارجية التي تحيط بكل منا.

وهل حين تفهم الآلة كل ذلك وتنتجه في إحدى الصيغ التعبيرية -بديلا أو نيابة عن الإنسان-، هل حينها ستكون الآلة هي التي تعبر عن نفسها؟ أم تعبر عمن يستخدمها؟ أم تعبر عن المشترك الإنساني المطلق؟ أم تختلق ما لا وجود له؛ لتعبر عنه؟

بمعنى: هل تستطيع الآلة بالفعل أن تكتب أدبا يحاكي الأدب الإنساني، ويحتكم إلى الاتساق بمفهومه الأشمل والأوسع؟

في عام 2010م صدر عن الإسبانية كتاب يحمل هذا العنوان الطويل: "هل يمكن للحاسوب أن يكتب قصيدة غزلية؟ التقنية الرومانسية والشعر الإلكتروني" للشاعر ديونسيو كانياس والمبرمج كارلوس جونثالث تاردون، واشترك معهما متعاونا بابلو خرباس.

وعلى الرغم من أن الشاعر كان يزيد عن المبرمج في العمر بإحدى وثلاثين سنة، إلا أنهما استطاعا الالتقاء في منطقة تمثل إشكالية أوجدتها مجتمعات المعرفة وعوالم التقنية وما طرحته من تطبيقات هيمنت على البشر في كل مفردات حياتهم اليومية.

ركز الكتاب بالفعل على المرحلة الانتقالية في تاريخ الإبداع البشري [(1)]، وهي الاعتماد على الأجهزة الحاسوبية في الطباعة والنشر وعمليات الإعلام، ثم توسيع اختصاصات الحاسوب وتقنياته شيئا فشيئا ليتدخل في كل تفاصيل الحياة العامة، ثم ليتدخل في عمليات الكتابة الشعرية بإبداعها الرفيع، وما يطرحه كل ذلك من أسئلة يتعلق بعضها بمخاطر امتداد التكنولوجيا إلى الإبداع، وبعضها الآخر يتعلق بإمكانات إثراء الشعر شكلا ومضمونا، بما يمكن إضافته من أنواع شعرية جديدة كما يذهب مؤلفوا الكتاب في بعض الفصول.

وعلى الرغم من ذلك فإن الكتاب يذهب إجمالا إلى عدم التحول إلى الشعر الرقمي بشكل عام، يقول: "لن يتحول الشعر أبدا وبشكل كامل إلى الشكل الرقمي انطلاقا من معرفتنا به تاريخيا، وسوف يظل الشعر قائما كما هو، أي في شكل من آلاف من التكوينات النصية، الشفاهية والمكتوبة"[(2)].

إلا أنه بعد صدور الكتاب بسنوات قليلة فقط، وبخاصة مع مرحلة الكورونا (COVID-19)، فقد ذاع وانتشر الإبداع التفاعلي بأشكاله المتعددة: الشعر التفاعلي، والرواية التفاعلية، والقصة التفاعلية، وهي فنون في إجمالها تعتمد في المقام الأول على التقاطع تقنيا مع معطيات التكنولوجيا.

---

[1] – يمكن العودة إلى ديونسيو كانياس، وكارلوس جونثالث تاردون: هل يمكن للحاسوب أن يكتب قصيدة غزلية؟ التقنية الرومانسية والشعر الإلكتروني، ترجمة: علي منوفي، المركز القومي للترجمة، ع2201، القاهرة، 2014، الفصل السادس والسابع، ص 183 وما بعدها.

[2] – السابق، ص 205- 206.

وقبل ذلك كله بكثير كان الإبداع السردي يطرح بين الحين والآخر روايات وقصصا وأعمالا مسرحية تدور موضوعاتها حول هذا التقاطع المستجد للتكنولوجيا وتطبيقاتها مع الإبداع الأدبي على اختلاف أنواعه، والذي سرعان ما انتقل إلى السينما بوصفها الفن السابع، الذي شمل كل أنواع الفنون بداخله كما ذهب "إيتيان سوريو" في نظريته "تقابل الفنون"[3].

وكان الشكل الأول من أشكال الخيال العلمي المرتبط بالتكنولوجيا، والذي عالجته الكتابة الإبداعية الروائية، وانتقل إلى السينما بعد ذلك، هو شكل وصيغة الإنسان الآلي (الروبوت)، باعتبار ظهوره في الحياة أولا لمساعدة الإنسان على القيام بالمهام الصعبة والمستحيلة التي لا يقدر عليها الإنسان، ثم شيئا فشيئا للقيام بالخدمات العادية والترفيهية والأعمال اليومية، ثم تطور الأمر بعد ذلك كما تتكشف عنه أبعاد الحياة اليوم لينتقل إلى الخوف من مخاطر هذا التوسع.

ومع العقدين الأخيرين من القرن العشرين بدأ عصر التكنولوجيا في التشكل، وبدأت أجهزة الحواسيب وتطبيقاتها تنتشر بسرعة فائقة تجاوزت كل ظواهر الحياة التي شهدها البشر عبر تاريخهم على الأرض، وبخاصة فيما يتعلق بثورة الاتصالات التي

---

[3] – في القديم صنف الإغريق الفنون إلى ستة أنواع، هي على الترتيب: العمارة والموسيقى والرسم والشعر والرقص، ثم قدم "إيتيان سوريو" تصنيفا جديدا لها على النحو التالي: النحت والعمارة، والرسم والزخرفة، والتلوين التمثيلي والصرف، والموسيقى، والإيماء والرقص، والأدب والشعر، والسينما والإضاءة، وللمزيد يمكن العودة إلى:

- إيتيان سوريو، تقابل الفنون، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة الثقافة، دمشق، 1993، ص149- 171.

– محمود الضبع، أزمة النقد وانفتاح النص.. نجيب محفوظ والفنون السبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2019، ص27 وما بعدها.

https://archive.org/details/1-26_20230209

حققت حلم الناس في التواصل عن بعد، وكذلك ما يتعلق بإمكانية الانتقال من مكان إلى مكان آخر، وإمكانات اختزال الوقت والكتلة والمساحة، تبعا لما عالجه إيتالو كالفينو في كتابه "ست وصايا للألفية القادمة"، وتكفي هنا الإشارة إلى ما حققته الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، حيث استطاع هذا المصدر أن يكون الوعاء الذي يحوي كل المصادر والوسائط السابقة، ليقدمها بسهولة ويسر، بتحقيق ما عجزت عنه البشرية عبر قرون، وهي الخفة والسرعة والانتقال (الوصول إلى المستفيد في مكانه)، كما تنبأ إيتالو كالفينو في نهاية الثمانينات من القرن العشرين [4].

كل هذا التطور سمح للبشرية أن تعيد مفاهيم المعرفة والثقافة والمعلومات والبيانات، وصولا إلى "مجتمع المعرفة" بكل معطياته وآلياته التي تعتمد في المقام الأول على استخدام التطبيقات والبرمجيات لمعالجة البيانات وإنتاج المعرفة بواسطة الإنسان وبواسطة الآلة، بل كثيرا ما تنتج التطبيقات التكنولوجية المعلومات والبيانات بنفسها، وهذا ما يحدث للمرة الأولى في تاريخ البشرية، أن تنتج الآلة بيانات ومعلومات ومعارف دون تدخل الإنسان في أي خطوة من خطوات عمليات الإنتاج، ولعل أقرب مثال على ذلك هو أجهزة الاستشعار عن بعد التي تعمل في الفضاء وأعماق المحيطات

---

4 – وصايا كالفينو هي على الترتيب: الخفة والسرعة والوضوح والدقة والتعددية، وأضيف إليها لاحقا (الاتساق)، وللمزيد يمكن العودة إلى:

- إيتالو كالفينو: ست وصايا للألفية القادمة (محاضرات في الإبداع)، ترجمة وتقديم: محمد الأسعد، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب بالكويت، والمجلس الأعلى للثقافة مصر، القاهرة، 2000.
- محمود الضبع، صناعة المعرفة في عصر مجتمع المعرفة، دار سما للنشر والتوزيع، القاهرة، 2024م، ص 132 وما بعدها.

https://archive.org/details/1_20240405_20240405

وتعالج البيانات الواردة إليها، وتنتج منها معرفة، بل وتتخذ القرارات دون العودة للإنسان.

كل هذا الانفتاح المعرفي والسعي المستمر والسريع نحو التكنولوجيا، قد فتح أمام الإبداع عوالم وإمكانات لا حصر لها، وبخاصة مع تعدد صيغ وأشكال إنتاج المحتوى (صوت، صورة، فيديو، معلومات، برمجيات، مواقع ويب، ومنصات متعددة ومفتوحة المصادر تسمح بإمكانات لا حصر لها)، وهذا هو المعنى الأقرب لمفهوم "صناعة المحتوى" المتداول مؤخرا في عوالم التقنية.

وهنا يمكن رصد حركة ومسار الإبداع الروائي في علاقته بكل هذا التطور التكنولوجي، سواء على مستوى التنبؤ به (المعالجة المبكرة والسابقة لأوانها في موضوعات القصص والحكايات وفنون السرد على اختلاف أنواعها)، أو على مستوى الحكي عنه بوصفه موضوعا، أو على مستوى استخدامه بوصفه آداة أو تقنية تضاف إلى أدوات الأدب والإبداع بأشكال متعددة.

مراحل تطور العلاقة بين الكتابة الروائية والذكاء الاصطناعي:

يمكن التوقف أمام عدة مراحل عاصرها الإبداع الروائي، بل إنه صنع بعضها منذ البداية، وهي مراحل لا يمكن فهم تقنية الذكاء الاصطناعي في علاقته بالرواية دون التوقف أمامها ورصد أبعادها[5]:

---

[5] – للمزيد حول هذا الموضوع، يمكن العودة إلى دراستنا بعنوان: "الميتافيرس والسرد الأدبي"، مؤتمر أدباء مصر "الفعل الثقافي ومشكلة المعنى"، الدورة 35، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2022، ص223- 244.
https://www.researchgate.net/publication/380404225_almytafyrs_walsrd_aladby_mhmwd_aldb

- **أولا– مرحلة Science fiction (روايات وقصص الخيال العلمي):**

بأشكاله وصوره العديدة، ومنها: حروب الفضاء، وزراعة أجهزة دقيقة وكاميرات في جسد إنسان، والتحول في صورة البشر لكائنات أخرى مثل الزومبي والروبوت وغيرها، وروايات وقصص الدخول في آلة سفر عبر الزمن، والحياة في كواكب ومجرات وعوالم أخرى في الفضاء أو في باطن الأرض والمحيطات والبحار، والصور الأخرى المختلفة التي يمكن لاكتشافات العلم أن تكون مرجعا فيها، ويتم توظيفها في خيال إبداعي سردي كما صورته روايات جول فيرن (رحلة إلى مركز الأرض، ورحلة على مذنب، وغيرها كثير)، وروايات وقصص هربرت جورج ويلز (آلة الزمن، وحرب العوالم)، وكذلك روايات وقصص ألدوس هكسلي (بدءا من عالم جديد شجاع)، وروايات: جون كامبل، وراي برادبوري، وهاري هاريسون، وإسحاق آزيموف، وغيرهم كثير [6].

وكذلك سنجد الكثير من هذه الأعمال في الأدب العربي ، وبخاصة عند كتاب بأعينهم مثل: نهاد شريف، ورؤوف وصفي، وعبد التواب يوسف في كتاباته للأطفال (صناعة الأقمار، وحرب البحار)، وعند يعقوب الشاروني، والسيد نجم (سامح يرسم الهواء، والمباراة المثيرة، وروبوت سعيد جدا، وحكايات القمر)، ورجب سعد السيد (كعكة من الجليد)، ومنير علي الجنزوري (نورا وسالي والإنسان الآلي، بهلول في رحلته العجيبة، معتز وزيزي والقمر الصناعي)، وفتحي أمين (كوكب الأشباح، بعثة إلى أورانيا، عمالقة أطلنطس، قراصنة الفضاء)، وصلاح طنطاوي (ثوار كوكب لوكور، حرب الكواكب، كوكب التاتاريس)، وأحمد فضل شبلول (الحجر العاشق) وسمير

---

6 – للمزيد حول أدب الخيال العلمي، يمكن العودة إلى:

– محمود قاسم، أدب الخيال العلمي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1993.

– عصام بهي: رواية الخيال العلمي ورؤى المستقبل، مجلة فصول، القاهرة، مج2، ع2، 1983.

عبدالباقي (نداء من كوكب ميت، الآلات المفترسة)، ومجدي صابر (اختطاف فوق القمر، كوكب المتوحشين)، وهويدا حافظ (أحلام بلوتو الصغير)، بالإضافة إلى العديد من الأسماء في أنحاء الوطن العربي، وبخاصة سورية والأردن ولبنان والمغرب العربي[7].

- **مرحلة سينما الأفاتار Avatar:**

التي بدأت في التبلور عام 2009م، مع فيلم "Avatar" من إخراج جيمس كاميرون، وكان آنذاك أول فيلم تم تصويره بالتصوير المجسم (تقنية الأبعاد الثلاثية)، التي أحدثت طفرة تطورية في عالم السينما وصناعته وعوالم الجرافيك والتصوير والتطبيقات التقنية بشكل عام.

وتدور القصة حول عالم باندورا المتخيل، الذي يقع في مكان ما من الفضاء، ولأهله صورة تمثل مرحلة وسيطة بين الحيوان والإنسان، فهم كائنات زرقاء تشبه البشر لكنها لها ذيول وآذان طويلة تقترب من صورة القرد والحصان، وكانت هناك مهمة تقتضي إرسال متطوع عبر أجهزة تقنية ستنقله إلى هذا العالم بفكرة تشبه السفر عبر الزمن.

ويتم إرسال جندي قعيد كان قد أصيب في إحدى الحروب سابقا، ويقتضي الأمر في بعض المراحل أن تصاحبه المشرفة العلمية على التجربة، ويتحولان إلى أفاتار، ويستمر الفيلم في قصته الدرامية التي تحقق حبكة الفيلم، لكنها تمثل طفرة في عالم

---

7 – للمزيد حول أدب الخيال العلمي العربي، يمكن العودة إلى:

- يوسف الشاروني: الخيال العلمي في الأدب العربي، مجلة عالم الفكر، الكويت، أكتوبر 1980.
- محمود الضبع، أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2009، ص 146 وما بعدها.

https://archive.org/details/20230302_20230302_1332

التصوير السينمائي والخيال الروائي في الاقتراب من عالم الذكاء الاصطناعي الذي تحكمه التطبيقات التقنية في المقام الأول، فلو حذفنا التطبيقات من الفيلم لما تبقى هناك شيء يمكن اعتباره أدبيا أو سينمائيا من الأساس.

- **مرحلة ألعاب الفيديو/ التكنولوجية:**

وجميعها يخضع للجماعية (تشارك اللاعبين من أقطار وقارات متعددة عن طريق الإنترنت) والواقع الافتراضي (تصور عوالم لا وجود لها واقعيا)، واللعب أونلاين، بالاعتماد على تقنيات الأبعاد الثلاثية وما بعد الثلاثية، والاتصال الدائم بالإنترنت، وهي ألعاب عديدة غدت اليوم تمثل عنصرا أساسيا من فكر وحياة أبنائنا في كل المنازل العربية وغير العربية، وهي كثيرة، منها: روبلكس Roblox، وماينكرافت Minecraft، وأمانج أس Among Us، وفورتنايت Fortnite، وببجي PUBG، وعشرات الألعاب التي تتسابق شركات الفيديو عالميا في تطويرها وإضافة وظائف جديدة لها، وابتكار أنواع جديدة منها، بما أوجد اقتصادا عالميا موازيا يعتمد عليها.

هذه الألعاب جميعا بما تقدمه من عوالم افتراضية وسرديات محكية تجعل الناس يعيشون فيها (حيث تقدم لهم إشكاليات ومعضلات متصورة خياليا تجعل الناس يتفاعلون معها كما لو كانت حياتهم الواقعية، وتقدم لهم حكايات تجعلهم يعيشون فيها ويتفاعلون مع تفاصيلها وأبعادها بما يصل إلى بعضهم للخلط بين الافتراضي والواقعي أحيانا)، ومن جهة أخرى فإن هذه الألعاب بتلك الصيغة (السردية الافتراضية المغرقة في الخيال المغلف بتقنيات الأبعاد التي وصلت الآن إلى 9D) كانت خطوة أساسية في عالم الاقتراب من الذكاء الاصطناعي وانتقاله إلى الهيمنة على الكتابة الروائية والإبداعية بشكل عام، وذلك من جهات متعددة ومداخل سيأتي ذكرها.

- **مرحلة الواقع الافتراضي للميتافيرس:**

أو "كون الأكوان" كما طرحته شركة فيس بوك، وغيرت فيه اسمها إلى "ميتا"، وكان قد بدأ الحديث عنه في عام 2022، بوصفه بديلا مستقبليا عن الإنترنت، ومساعدا للإنسان على حياته شبه الدائمة داخل العوالم الافتراضية، بدءا من عمليات البيع والشراء التي أصبحت جزءا أساسيا من حياة الإنسان المعاصر الآن، ومرورا بالمساعدة على كيف نعيش وكيف نمارس أدوارنا، وكيف نستعد للدخول إلى هذا العالم الجديد الذي يعاد تشكيله وتعاد صياغته وصناعته على نحو دائم وبسرعة فائقة بسبب التقنيات والتطبيقات التكنولوجية التي تحكم كل شيء في مسارات حياتنا اليومية.

وتتأسس فكرة الميتافيرس على إمكانية إدخال البشر من خلال نظارات ثلاثية الأبعاد يمكن بمجرد ارتدائها والاتصال عبر الإنترنت، يمكن الانتقال إلى عوالم افتراضية متخيلة، وعوالم معززة بالكامل من خلال التطبيقات التقنية، وهذا ما يتم تسميته بالواقع الافتراضي والواقع المعزز [8].

هذا الواقع (الافتراضي والمعزز) هو الذي مثل خطوة في طريق الإبداع الروائي ليندمج على نحو أوسع مع إمكانية وجود عوالم بديلة أكثر رحابة واتساعا من عوالم الخيال الروائي كما صوره العقل البشري، وهو أمر شرحه يطول في سياق الحديث عن عمليات الإبداع وكيف يمكن لها أن تتشكل في عقول البشر من الأساس، وصولا إلى حالة من التواصل بين المعلن والخفي، وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة، بل بين الإنسان في واقع الأرض والعوالم التي كانت شبه مستحيل الوصول إليها من قبل، مثل الماضي والمستقبل والكواكب الأخرى، وهكذا من الأفكار التي طرح التفكير التقني

[8] – الواقع الافتراضي (عالم خيالي يحاكي الواقع، ويمكن تطبيقه على البيئة التي تسمح بذلك)، والواقع المعزز (تطبيقات تسمح للمستخدم التفاعل مع الواقعين الافتراضي والمعزز والدمج بينهما).

والتكنولوجي إمكانية وجودها، وهو ما يمكن رصد بعض أبعاده فيما أوجدته المرحلة التالية (مرحلة AI).

- **مرحلة الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence:**

وهي المرحلة الأخيرة – في حياتنا الراهنة على الأقل حتى الآن- والتي تأتي نتيجة لخضوع الإنسان شبه الكامل للأجهزة والتطبيقات التقنية، والتي بدأت في التفكير بديلا عن الإنسان واتخاذ القرارات نيابة عنه، ففي لحظتنا التاريخية الراهنة، لم يعد أبناؤنا – على سبيل المثال- يفكرون أو يشغلون أنفسهم بمصادر البحث التي كنا نخضع لها عبر تاريخ المعرفة من كتب ودراسات وأبحاث أو حتى الاحتكام إلى أهل الخبرة من العلماء وذوي الاختصاص، فكل ذلك غدا مرهقا ولا حاجة لهم إليه من الأساس، بل أحيانا غير موثوق فيه.

وعلى النقيض من ذلك، غدا البديل الأسهل هو الاحتكام إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي للسؤال عن أصغر موقف يتعرض له الإنسان إلى أعقد موقف يرتبط مثلا بعارض صحي يمكن أن يحدث له [9].

بل إن كثيرا من الكبار لم يعد يشغلهم أن يستخدموا عقولهم في إنتاج أي عمل إلا بعد سؤال الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته عما يجب عمله، وكيف يمكن عمله، وهو ما تسرب إلى تخصصات وفروع عديدة - منها على سبيل المثال- البحث العلمي والدراسات والمقالات والأوراق البحثية التي تجري فيه، وعلى نحو أوسع مما يمكن تخيله.

---

[9] – يمكن في ذلك مراقبة الأجيال الصاعدة في علاقتهم بمفردات الحياة من حولهم وارتباطها بسؤال الذكاء الاصطناعي عن أي شيء بدءا من سؤال: ماذا نأكل، ومرورا بالسؤال عن أي مشكلة بسيطة تواجههم ولو في تشغيل أحد أجهزة المطبخ... وهو ما يشير إلى خضوع هذه الأجيال الكامل للعقل التقني في مقابل التراجع التام للعقل البشري.

ثم تسرب إلى الإبداع الروائي والأدبي عموما، وبصيغ وأشكال وصور متعددة، سواء في البحث عن الفكرة الإبداعية من الأساس، أو في البحث عن مسارات وأقدار الشخصيات، أو في إثراء الحكي بعناصر إضافية، وغيرها مما يتم واقعيا الآن في عوالم الإبداع والكتابة الروائية، وهو ما سيأتي الحديث عنه لاحقا في موضعه.

الذكاء الاصطناعي: الفكرة والموضوع الروائي.

نشأت السينما في الأساس معتمدة على الإبداع الروائي وبخاصة الرواية التاريخية، ثم في مرحلة تالية الأعمال المقتبسة عن الرواية الأم الكبرى في العالم شرقا وغربا"ألف ليلة وليلة"، وظلت السينما لعقود طويلة تعتمد في إنتاجها على القصص والروايات التي يتم معالجتها عن طريق السيناريو (باعتباره مرحلة وسيطة آنذاك) لتتحول بعد ذلك إلى أفلام وعروض مسرحية وسهرات تليفزيونية، وهنا يمكن التوقف أمام مرحلة قديمة يمكن تسميتها بالخيال التقني أو الخيال التكنولوجي الذي كان سابقا لأوان بلورة مفاهيم وأبعاد الذكاء الاصطناعي كما تتضح اليوم، وذلك عبر رصد سينما الخيال العلمي التي تعد البداية الحقيقية لفكرة وجود الآلة وتطبيقاتها في حياة الإنسان، وهي مرحلة مبكرة يعود بعضها إلى زمان مبكر مثل أعمال جول فيرن (رحلة إلى مركز الأرض وغيرها)، وأعمال ميلفل، وآخرون كثيرون بدأو هذه المرحلة مبكرا.

كذلك من المهم التوقف أمام التطور الذي لحق هذه العملية إجمالا وصولا إلى مخاطر الهيمنة التقنية التي يندد بها كثير من المفكرين والعلماء الآن، ويرون أن الإنسان في سبيل القضاء على وجوده أمام تغول وتطور حجم الآلة وسيطرتها عليه، وهو ما يمكن رصده عبر المراحل التالية:

من الرواية إلى السينما والعكس:

إذا تأملنا السينما العالمية في أعمالها التي تنتمي إلى شريحة "أفلام الخيال العلمي" وما طرحته من تصورات عالج بعضها فكرة وموضوع وجود الروبوت في حياة الإنسان، والمخاطر التي يمكن أن تترتب على هيمنة الآلة والإنسان الآلي (الروبوت) على حياة البشر، والاحتمالات المتوقعة التي يمكن أن تحدث في المستقبل من خروج الروبوت عن السيطرة البشرية، وتمرده على الإنسان، وسعيه للتخلص من البشرية.

لو تأملنا هذه الشريحة فإننا سنجد الكثير من الأفلام التي عالجتها السينما العالمية منذ زمن مبكر (ثمانينات القرن الماضي)، ومعظم هذه الأفلام كان عملا روائيا في الأساس تمت معالجته سينمائيا، ومنه:

- مجموعة أفلام متسابق المتاهة، بدءا من عام(1982)، وفيلم رجال في الزي الأسود (1997)، ومجموعة أفلام ماتريكس، التي استمرت من عام (1999-2021).
- مجموعة أفلام: أوديسا الفضاء (2001)، وأنا روبوت (2004)، والجدار E (2008)، وأفينجرز (2009)، وترون (2010)، والماكينة (2013)، وأويفيليون (في العام ذاته).
- مجموعة أفلام: تاو (2018)، وأنا أم (2019)، وميجان (2023)، وأطلس (2024).
- أفلام فينتش، وإكس ماشينا وميجان وتشابي، ورواية وفيلم الأصل لدان براون، وأوديسا الفضاء لآرثر كلارك، وسندر لماريسا ماير، وغيرها كثير من أفلام الخيال العلمي التي تدور في هذا الإطار.

كل هذه الأفلام (التي كان معظمها روايات في الأصل) تنبأت باحتمالية خروج الآلة والروبوتات عن سيطرة الإنسان، والتحول الذي يمكن أن يحدث للبشرية، والأخطار التي سوف تترتب على ذلك، مع التنبيه طوال الوقت على خطورة ما تمضي البشرية إليه من سعي وراء الاعتماد الكامل على الآلة والتطبيقات الذكية على نحو ما يحدث منذ أواخر الألفية الثانية، في لهاث مستمر بدأ ولم يتوقف، وهو ما يمكن تأمله من حولنا في خضوع البشر للتطبيقات الذكية والذكاء الاصطناعي في كل شيء من تفاصيل حياتهم.

هذه الأفلام يمكن الوقوف أمامها من جهتين/ جانبين في علاقتها بالإبداع السردي عموما، وبالرواية على وجه الخصوص:

الجانب الأول:

أن بعضها مأخوذ في الأساس عن روايات لكتاب ومؤلفين من البشر، عايشوا معطيات التحول التكنولوجي، وأطلقوا لخيالهم العنان، فأنتجوا هذا الإبداع، ومنه فيلم "أنا روبوت" I robot، المقتبس عن رواية الكاتب الروسي "إسحاق أزيموف/ عظيموف" المولود في عام (1920) والمتوفى عام (1992)، وعلى الرغم من وفاته قبل انفجار التحول التقني والرقمي وتطبيقات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، إلا أن خياله استطاع التنبؤ بمستقبل هذه التحولات من خلال قصص وروايات عديدة عالجت علاقة الروبوت بالإنسان وتطورها، ومنه حكاية (أنا روبوت) التي تحولت إلى فيلم، والتي عالج فيها علاقة الروبوتات بالإنسان، وعلاقة الاثنين معا بالحياة، والصراعات التي يمكن أن تنشأ بين الروبوت والإنسان في محاولة استخدام الإنسان للآلة، ثم في مرحلة تالية تبلور الصراع عن محاولة سيطرة كل منهما على الآخر.

ومن ذلك أيضا فيلم Blade Runner، المأخوذ عن رواية "هل يحلم الروبوت بالخراف الكهربائية؟" للكاتب فيليب كندر ديك، والصادرة منذ العام (1968)، والتي تحكي قصة مطاردة بين أجهزة ورجال الشرطة من جانب والروبوتات والإنسان الآلي من جانب آخر، وتطرح الرواية في إجمالها أسئلة وجودية عميقة من قبيل: ما الذي يجعل الإنسان إنسانا ويجعله يحافظ على إنسانيته؟ هل هو الوعي في الدماغ، أم الجسد بحضوره الفيزيقي، أم المشاعر والقدرة على التعاطف مع البشر ومع الكائنات الأخرى؟

وهل من يشعر بالفعل (أو يحس) هو الإنسان الذي فقد مشاعره وتعاطفه – على مستوى حكاية الرواية– أم الروبوت الذي يحلم ويتأمل ويشعر بالحياة –كما تتطور الأحداث بالفعل لتصور الروبوت وهو يقوم بهذه العمليات–؟

وسيستمر الأمر على هذا النحو مع الأعمال الروائية التي عالجت فكرة الذكاء الاصطناعي ومراحل تطوره، وارتباطها بقضايا مصيرية تتعلق بالفكر والعقل الإنساني، ومنها أعمال "دان براون" الروائية التي أثارت مشكلات عديدة في طرحها، وبخاصة رواية وفيلم الأصل Origin (2017)، الذي يثير إشكاليات عديدة تدور في إجمالها –كما هو الحال في رواياته جميعا– حول فكرة فك الشيفرات والرموز كما هو الحال في رواية "شيفرة دافنشي" من قبل.

ومن هذه الأفلام التي اعتمدت على نصوص إبداعية: فيلم المبتكر (2023) الذي يعالج فكرة الحرب المحتملة بين البشر والذكاء الاصطناعي، وفيلم أطلس (2024) الذي عالج وقوع تلك الحرب بالفعل، من خلال قصة محللة البيانات ومكافحة الإرهاب (أطلس) وما عاشته من حياة مأسوية بسبب انقلاب وتمرد روبوت الذكاء الاصطناعي (هارلان) وقتله ملايين البشر، وتسببه في حرب بين الذكاء الاصطناعي والبشر، وتبدأ مغامرة أطلس مع فريق متخصص في تعقب هذا الروبوت

الذكي، والذي لم يكن أمامها من خيار بعد فشل كل الخطط سوى أن تثق في الذكاء الاصطناعي لتستعين به في القضاء على هارلان.

وهكذا يمكن الوقوف أمام كثير من الأعمال الروائية التي تحولت إلى أفلام سينمائية تعبر عن مختلف أشكال العلاقة بين الإنسان والذكاء الاصطناعي وتنويعات كل ذلك في تنبؤات المستقبل – الذي يكون الإبداع فيه سابقا عن الواقع كما تشير إلى ذلك قراءة التاريخ-.

والجانب الثاني من علاقة الرواية بالسينما:

هو الروايات التي صدرت متأثرة بالأفكار التي عالجتها الأفلام السينمائية سابقة الذكر، أي أن مصدر الرواية ذاته يعود في فكرته الأساسية إلى أفكار عالجتها السينما، وليس المقصود هنا بالطبع هو تقليد هذه الأفلام أو الاقتباس عنها أو السرقة منها، وإنما المقصود هو الكشف عن مرجعيه هذه الرواية في مصادرها الإبداعية الأولى، وعالم السينما بما أوجده من إمكانات إلهام الإبداع وثرائه.

ومن هذه الروايات، رواية The wild robot (الروبوت البري) للكاتب بيتر براون، والتي تحكي قصة العثور على روبوت "روز" في جزيرة مهجورة، وقدراته على التكيف مع الحياة، ثم محاولة نقله للعيش مع البشر، وهروبه بعد عدم قدرته على الاحتمال، ومطاردات روبوتات أخرى له، وعبر ذلك جميعه تتم معالجة قضايا مصيرية في حياتنا مثل الهوية والانتماء والحرية والتلوث وغيرها مما يمثل أخطارا حالية ومستقبلية لسكان الأرض.

ومن الروايات – أيضا- التي تأثرت بأفكار السينما العالمية حول الذكاء الاصطناعي والروبوتات والسعي نحو الهيمنة على الإنسانية، سلسلة روايات مارثا ويلز، التي حملت عنوانا رئيسا هو: مذكرات روبوت القتل، وجاءت كل رواية لتحمل عنوانا

فرعيا، منها: تأثير الشبكة، ورسالة الهارب، والحالة الاصطناعية، وفوضى الأنظمة، واستراتيجية الهروب، وآليات التمرد، وغيرها كثير من أعمال روائية رائجة وناجحة.

ويلاحظ بالطبع، أن عناوين هذه الأعمال تبدو كما لو كانت تقارير حالة، وليست عناوين تخييلية لأعمال إبداعية تميل إلى المجاز أو الإلغاز أو المفارقة، أو ما يمكن أن تحتمله الصيغ الأدبية المتداولة، وهي بالفعل كذلك في معالجتها للفكرة أو الموضوع الذي يتضمنه عنوانها.

على سبيل المثال تأتي من هذه السلسلة، رواية "الحالة الاصطناعية" Artificial Condition، لتعبر عن قصة معقدة هي استكمال للرواية الأولى "روبوت القتل" Murderbot، وهو وحدة هجينة من البشري والآلي، استطاع التحرر من هيمنة البشر والأنظمة، ويبدأ بعد ذلك مغامرات عديدة يخوضها مع البشر من أجل اختراق وحدة أمنية، واستعادة بعض البيانات، ومكافحة محاولة شركة معادية إفساد الأنظمة، وهكذا يتكشف له أن هناك بعض أجهزة الذكاء الاصطناعي قد ضحت بنفسها من أجل إنقاذ البشرية، وهو ما يجعل الروبوت يعيد النظر وجوديا في فكرته عن نفسه وطبيعة نظرته للحياة، وإمكانية أن يعيش بأفكار جديدة.

وفي السياق ذاته تأتي روايات أخرى عديدة، منها رواية "آلات مثلي" Machines Like Me ، للبريطاني حائز نوبل إيان ماك إيوان، والصادرة عام 2019، لتحكي أيضا عن فكرة الحب البشري الآلي، أو علاقة الحب بين الآلة والبشر.

ومن هذا المنظور أيضا تأتي رواية كازو إيشجورو، الياباني الحاصل على جائزة نوبل في الآداب، بعنوان "كلارا والشمس" الصادرة عام 2021، حول الصديقة الاصطناعية Artificial Friend كلارا، المصممة خصيصا لمرافقة الأطفال والمراهقين، لكنها تمتلك ذكاءً عاليا وقدرات تسمح لها بالتعلم من البيئة المحيطة والبشر

وكل ما تراه أمامها وكل ما تتعامل معه من حولها أو يقدم لها خبرة جديدة، وبالتالي فإنها تتطور وينمو وعيها تماما كما يتطور الإنسان وينمو وعيه يوما بعد يوم.

والأدهى من ذلك أنها تمتلك ذكاء عاطفيا يسمح لها بفهم مشاعر البشر والتفاعل معهم، وحين تنشأ صداقة بينها وطفلة مصابة بمرض غامض مستقبلي يتعلق بالأطفال الذين تم تحسينهم وراثيا، فإن الرواية تنتقل لمعالجة رصد الذكاء الاصطناعي لتعقيدات المشاعر والعواطف الإنسانية، ومآلات ذلك في المستقبل مع وجود الخطط والمؤامرات التي يقودها الإنسان، والأخرى التي يتحكم فيها ويقودها الذكاء الاصطناعي.

وهكذا سنجد العديد من الروايات العالمية التي عالجت الذكاء الاصطناعي بوصفه موضوعا، والتي تدين في أصل فكرتها الأولى إلى ما أنتجته السينما العالمية من معالجات لفكرة الذكاء الاصطناعي.

الرواية العربية والذكاء الاصطناعي بوصفه موضوعا:

وفي الأدب العربي صدرت كثير من الأعمال الروائية التي عالجت فكرة هيمنة الذكاء الاصطناعي بوصفها موضوعا، أي أن الموضوع الروائي لها يدور حول الأفكار والتقنيات التي بلورتها التكنولوجيا وتطبيقاتها، وهي في ذلك متأثرة بالسينما والأفلام العالمية التي صدرت في هذا السياق لتعالج هذه الفكرة، ومنها عربيا روايات: العودة إلى الأرض عبدالهادي سعدون، ودولة الروبوت للكاتب بسام عبدالسميع، وتميمة العاشقات للكاتبة لنا عبدالرحمن، وشفرات القيامة للكاتب تامر شيخون، وقلب الملاك الآلي للكاتبة ربيعة جلطي، والفتاة الآلية والأشجار آكلة البشر للروائي إبراهيم فرغلي، وكذلك روايته مصاصو الدماء من قبل، وغيرها كثير من الأعمال الإبداعية التي اتخذت الذكاء الاطناعي وتطبيقات التكنولوجيا موضوعا روائيا لها .

رواية "دولة الروبوت" لبسام عبدالسميع، وإن كانت تبدأ مكانيا من مصر (القاهرة والإسكندرية) وتنتقل إلى دول عديدة ومتباعدة، منها: دول أوروبا وآسيا وصولا إلى الصين واليابان، لكنها تعتمد زمانيا على الانتقال بين الأزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل)، حيث تدور أحداثها بين عام 2019 وحتى عام 2031، وتعالج فكرة تطور الروبوت وصولا إلى إمكانات تكوينه دولة بكاملها "دولة الروبوت"، ومشاركتها دول العالم كل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وما سيترتب على ذلك من إخلال لمنظومة الحياة كما ألفتها البشرية عبر تاريخها.

فكرة الرواية إجمالا تعد تطويرا لما تداولته السينما من تشكيل الروبوتات لمجموعات وجماعات وصل بها الأمر لمحاربة البشر، كما تذكرنا به أفلام كثيرة، لكن الجديد هنا هو عقلنة الروبوت وظهوره في شكل تنظيم دولة تشترك في مجلس الأمن، وتكون لها كيانات سياسية لها الحق في التصويت على القضايا العالمية واتخاذ القرارات ضد أو مع الدول.

وتعالج رواية "تميمة العاشقات" للكاتبة لنا عبدالرحمن فكرة الزمن عبر عصور مختلفة بدءا من مصر القديمة (المسماة خطأ بالفرعونية)، وصولا إلى العصر الحديث (القاهرة ولبنان وأذربيجان وبغدا والمغرب والأندلس)، من خلال شخصية زينة القادمة من المستقبل تبحث عن ماض بعيد وعميق يمتد عبر مئات القرون ولا تعرف عنه شيئا لكن حدس المرأة هو الذي يقودها، وتعالج عبر ذلك كله مخاطر هيمنة الآلة على حياة البشر عموما.

والرواية وإن كانت تعتمد على أفكار متداولة في السينما العالمية، إلا أنها تتخذ مسارا مختلفا في وضعية المرأة داخل هذا العالم، وإخلاصها للفكرة الإنسانية الأساسية وهي الحب والحفاظ على المشاعر الإنسانية، بل والنضال من أجل المحافظة على إنسانيتها وإنسانية الحياة عموما.

وتأتي رواية إبراهيم فرغلي "الفتاة الآلية والأشجار آكلة البشر" لتعالج فكرة السفر عبر الزمن – أيضا– وتتخذ عوالم وتاريخ الحياة المصرية القديمة للعودة إلى زمن بناء الأهرامات، والتواصل مع الكواكب الأخرى، ويتم الانتقال عبر الزمن من الماضي إلى المستقبل بتقنيات دقيقة ومحكمة متداولة في عالم التكنولوجيا، وأشارت إليها أفلام سينمائية عديدة من شريحة أفلام السفر عبر الزمن وآلاته، وإن كانت معالجة الكاتب للقصة هنا تختلف تماما عن المعالجات السينمائية والروائية، وبخاصة في ارتباطها بالهوية المصرية القديمة وتاريخها الذي ما يزال يحمل كثيرا من الأسرار المسجلة على جدران المعابد ولفائف البرديات.

ثم تأتي رواية "الكتاب يخونون أيضا" في صيغة تجربة مشتركة للكاتبين عبدالواحد استيتو وخلود الراشدي، لتعالج موضوع الذكاء الاصطناعي عندما يهيمن على البشر ويسيطر على الكتابة الروائية على وجه الخصوص، وعبر الرسائل المتبادلة بين الكاتبين يتبلور موضوع الرواية.

وفي كل يوم تظهر أعمال روائية جديدة تكشف عنها مواقع التواصل الاجتماعي وصفحات الإنترنت لتعلن عن كتابات روائية جديدة تعالج هذا الموضوع وتلك الفكرة.

تقنيات استخدام الذكاء الاصطناعي في الكتابة الروائية:

عبر التاريخ كان الإبداع سباقا في استثمار وتوظيف إمكانات وتقنيات التطور التكنولوجي على مستويات متعددة ، بدءا من استخدام تطبيقات وبرامج الكتابة الرقمية في بدايات ظهورها والتي ساعدت على الإنجاز والسرعة والدقة والانتشار، ومرورا بتضمين الصور الثابتة والمتحركة والمقاطع الموسيقية والصوتية في بعض النصوص الإبداعية بالاستفادة من التقنيات التي وفرتها الأجهزة الذكية، وذلك في مرحلة المدونات blogs، ثم في مرحلة مواقع التواصل الاجتماعي واستثمار إمكاناته لصالح

الكتابة الإبداعية ونشرها وترويجها، ومحاولات كتابة الأدب التفاعلي التي ما تزال في طور التكون والتشكل حتى الآن، وذلك في مرحلة لاحقة، وانتهاء باستخدام تقنيات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، وهو ما يمكن رصد أشكال حضوره كما يبلورها الواقع المعاصر حتى لحظتها الراهنة تلك في العام 2025م والتي وصل فيها الأمر لإنتاج نصوص إبداعية تعتمد في كل مراحلها على تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

أولا– الاستعانة الجزئية بالذكاء الاصطناعي في الكتابة الروائية:

وهي المرحلة الأولى التي بدأت مبكرا في عوالم السينما وكتابة السيناريو وعوالم الكتابة القصصية والروائية، حيث كان الذكاء الاصطناعي بمثابة المعين أو الأداة المساعدة التي يمكن عندما يضيق خيال المبدع أن يلجأ إليها للسؤال عن مسار شخصية ما، أو الاحتمالات المتعددة التي يمكن بناؤها لرسم هذه الشخصية في عوالم الإبداع السردية، وكانت أشهر التطبيقات في البداية الشات جي بي تي، والجاسبر، وتطور الأمر لاحقا بدخول الصين في التحديات فأنتجت الديب سيك، ثم طورت جوجل من نفسها بإنتاج الجيميناي، واليوم لدينا العشرات من التطبيقات التي تعتمد تقنية الذكاء الاصطناعي لصالح إنتاج نصوص جديدة، وإن كانت عملية بنائها في حد ذاتها ليست بسيطة أو سهلة.

في هذه المرحلة –كما سبقت الإشارة– كان يتم استخدام الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته على نحو جزئي من خلال محاولة إثراء العالم الروائي والقصصي، إذ بعد أن يبني الروائي عالمه وشخصياته وأحداثه، فإنه يلجأ في بعض المواضع إلى الذكاء الاصطناعي لسؤاله عن الإمكانات التي يمكن له أن يضيفها إلى هذا الحدث أو تلك الشخصية أو هذا الموقف، والاحتمالات المتعددة التي يمكن أن تصنع مصائر

الشخصيات، وهكذا الأمر، وهي الفكرة التي تحدث عنها كثير من الكتاب على سبيل التجريب في الأبنية السردية أو الكتابة الشعرية.

ولعله يمكن القول: إنه ما من كاتب معاصر إلا وله تجربة حاول فيها استخدام الذكاء الاصطناعي ولو على سبيل الاختبار لمعرفة مدى قدرته على كتابة موقف أو نص أدبي، وبعضهم أعلن عن ذلك عبر صفحات التواصل الاجتماعي إما على سبيل التندر، أو على سبيل التخوف من مستقبل ذلك، أو على سبيل السخرية من سذاجة النص، وإن كانت تطبيقات الذكاء الاصطناعي تتطور على الدوام بما لا يجعل مثل هذه الأحكام نهائية، لأن التجربة إذا أعيدت بعد يوم واحد فإنها سوف تأتي بنتائج مختلفة، لأنه عبر هذه الساعات أضاف الذكاء الاصطناعي عشرات التجارب والمحاولات البشرية لتنضم إلى رصيده (المخزن) الذي يستولد منه الجديد لإنتاجه اليوم.

ثانيا– الاعتماد الكلي على الكتابة الروائية بالذكاء الاصطناعي:

ربما كان ذلك ضربا من الخيال المفرط الذي يصل حد الجنون لو كنا نتحدث عن هذا قبل عشر سنوات من الآن، لكنه حدث بالفعل الآن، وبدءا من عام 2018 كانت هناك في العالم تجارب واقعية لجعل تطبيقات الذكاء الاصطناعي تكتب نصا إبداعيا بالكامل، وكما تشير الدراسات فقد أنتجب بالفعل رواية بعنوان "الطريق"، لم يتدخل البشر في كتابة أي جزء منها، وإن كانت مرجعيتها التي تم إدخالها للذكاء الاصطناعي هي روايات كافكا ورواية جاك كيرواك "على الطريق"، لكن في نهاية الأمر تم إنتاج الرواية بالفعل، وتبعتها عدة روايات، ولعل آخر هذه التطورات ما أعلنته صحيفة نيويورك بوست من استخدام الكاتب "تيم باوتشر" للذكاء الاصطناعي في

كتابة 99 نوفيلا أو رواية قصيرة تعتمد تقنيات الذكاء الاصطناعي، وكل ذلك في تسعة أشهر فقط [10].

ولعله ليس من العجيب أن يتم الإعلان الآن عن تطبيقات باسم "مولدات قصصية للذكاء الاصطناعي" على رأسها تطبيق جاسبر، وتطبيق Sudowrite ، وتطبيق HIX.AI's AI Story Generator، وتطبيقات: DeepStory ، و NovelAI، و Sassbook AI Story Generator وغيرها كثير من التطبيقات مدفوعة الأجر بالاشتراك الشهري أو السنوي أو حتى اليومي، وبعضها يضع حدا أقصى لعدد الكلمات، وهو ما يشير إجمالا لعوامل الاقتصاد والتجارة وهيمنة الرأسمالية وتحكمها في الإبداع وعلاقة كل ذلك بالتطبيقات الذكية ومستقبل الإبداع والبشرية عموما.

روايات عربية مكتوبة كليا بتطبيقات الذكاء الاصطناعي:

ظهرت في العامين الأخيرين تجارب روائية –أو هكذا يتم تسميتها– مكتوبة كاملا بتطبيقات الذكاء الاصطناعي وأشهرها شات جي بي تي Chat GPT باعتباره الأكثر تداولا في الاستخدام العربي، أو باستخدام التطبيقات مدفوعة الأجر السابقة الذكر تحت مسمى "مولدات القصص"، وهي في معظمها يأتي مدعوما بتطبيقات الشات جي بي تي والديب سيك وغيرها.

وإن كان البعض يطلق على صاحب هذه الروايات اسم المحرر أو المنشئ وليس الروائي أو المؤلف، لكن الأمر في نهايته عند إنتاج مثل هذه الأعمال الروائية قد أثار العديد من الجدل سواء بين أصحاب التجارب ذاتها في اتهام بعضهم البعض بالسرقة

---

10 – يمكن العودة في ذلك إلى ما تداولته الصحف والمجلات العالمية على مواقع شبكة الإنترنت والمواقع الإخبارية حول هذا الموضوع في عام 2023، بكتابة اسم "تيم باوتشر" في أي محرك بحث عربي أو بلغات أخرى.

أو الاقتباس، وهذا ليس غريبا لأنه على ما يبدو قد نسي الجميع تقنية وكيفية عمل تطبيقات الذكاء الاصطناعي ذاتها، وأنها ليست ذكية بالمفهوم الراسخ في عقل البشر حول مفهوم الإبداع المعتمد في الأساس على الإنتاج على غير مثال سابق، وإنما لابد من التعامل مع هذه التطبيقات على أنها توليدية بناء على ما تم تغذيتها به من إدخالات، أي أنها تولد النتائج والابتكارات من المعطيات المتوفرة لديها، وبالتالي فإن الأفكار الإبداعية الناتجة عنها سوف تتشابه في العالم كله حال الاعتماد عليه في كتابة فكرة إبداعية أو رواية أو قصة بالمعطيات المتوفرة عربيا على الأقل من إدخالات للذكاء الاصطناعي، وأعني التقنيات العربية وعدم مواكبتها للتطور العالمي في مجال الصناعة المعرفية وإنتاج المعلوماتية إجمالا.

والمبعث الآخر للجدل نشأ من طرح السؤال حول إمكانية قراءة أو تداول عمل إبداعي لم ينتجه الإنسان، وإنما أنتجته الآلة وتطبيقاتها؟ فهل سيجد الإنسان فيه ما ينتمي إلى متطلبات وأسس وشروط الإبداع – ولو على نحو مرن- وهذا هو السؤال الذي تم طرحه على مستوى الشعر في الكتاب الذي أشرنا إليه في مطلع الدراسة (هل يمكن للحاسوب أن يكتب قصيدة غزلية؟)، فقد تطورت الأحوال بعد كل هذه السنوات بعد إنتاج الكتاب؛ لتصل إلى إجابة قاطعة بأنه بالفعل يمكن للحاسوب أن يكتب قصيدة أو نصا إبداعيا كاملا دون اعتماد على الإنسان كما كان يحدث مع الإبداع عبر قرون وتاريخ البشرية السابق.

وظل الجدل –كذلك- حول مدى قدرة الإنسان على استقبال مثل هذا العمل، وما يرتبط به من آفاق نقدية ومداخل تحليلية حول هذا العمل من الأساس، فهل حينها سيكون النقد والتحليل وعمليات القراءة والتلقي موجهة إلى الآلة التي أنتجت النص، أم ستكون متوجهة إلى النص ذاته، أم لا يجب أن تكون هناك مداخل

وقراءات نقدية من الأساس، وإنما ينبغي حينها الاعتماد على الآلة في إنتاج قراءتها حول العمل الذي أنتجته الآلة ذاتها.

ومن هذه الأعمال التي تنتمي إلى ما سبق جميعه من اعتماد كامل على الإنتاج باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي، روايات: خيانة في المغرب لأحمد لطفي، وحيوات الكائن الأخير لمحمد أحمد فؤاد، وماذا لو أخطأ شامبليون لمحمد عبدالله حمودة، وإن كانت الأخيرة كثر الحديث عنها، ولم نتمكن من قراءة نصها بالفعل.

وقد نوقشت بعض هذه الأعمال في ندوات واقعية احتضنتها مؤسسات وكيانات كبرى مثل مكتبة الإسكندرية في مصر، وأثيرت فيها العديد من القضايا المتعلقة بفكرة الاعتماد الكلي على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الكتابة، ومسارات الأحداث، وارتباطها بواقع الإبداع الراهن، وغيرها.

وهي أعمال في إجمالها تعالج أفكارا متداولة في السينما العالمية، وأخرى أوجدتها التطبيقات التكنولوجية ذاتها، مثل فكرة السفر عبر الأزمنة المتعددة في الماضي والحاضر والمستقبل، ومثل فك الرموز والشفرات والألغاز التي عجز الإنسان حتى الآن عن فكها ومعرفة أسرارها، وبخاصة الحضارات الهيروغليفية والمصرية القديمة، لكن الجديد فيها هو طريقة المعالجة، والاعتماد على الآلة وتطبيقاتها في الإنتاج.

على سبيل المثال: رواية "خيانة في المغرب" غلافها يضع "شات جي بي تي" بدلا من كلمة "تأليف"، فيأتي هكذا:

Chat GPT

أحمد لطفي

مع ما يحيل إليه ذلك من تأويلات متعددة، يتم تفسيرها عند البعض أن الرواية تمت كتابتها عن طريق المشاركة بينهما، وتفسيرها عند البعض الآخر أن المؤلف الأصلي هو الذكاء الاصطناعي، وأن أحمد لطفي –البشري – هو المنسق أو المحرر، وهكذا.

أما على مستوي التحليل الفني للغة الكتابة، ومسارات الحكاية، والحبكة الروائية، فإن التحليل النقدي الواعي سوف يكون رأيه سلبيا بنسبة كبيرة في مثل هذا العمل وأشباهه لأن اللغة ركيكة وتميل إلى استخدام المسكوكات الجاهزة والجمل التقليدية المستهلكة وليست اللغة الإبداعية التي تحمل روح التخييل البشري ومتطلبات الإبداع الفني، وتكفي المقارنة الأسلوبية والتركيبية بين لغة الكتابة المستخدمة في النص المكتوب بالذكاء الاصطناعي، ولغة الكتابة المتداولة في الإبداع الأدبي كما ألفناه من حولنا، وكما يمكن مطالعته في الأعمال البشرية للمبدعين الحقيقيين، حيث ستتضح الفروق بين ضعف بنية لغة تطبيقات الذكاء الاصطناعي قياسا للغة الإبداع البشري في طزاجتها وتراكيبها الفنية، إلا على أولئك الذين لا يستطيعون تمييز جماليات اللغة من الأساس.

وتكفي قراءة أي مقطع من النص للوقوف على ضعف البنية والتركيب، ومنه هذا:

"بدأ الشك يدب في قلبه من كل شيء. لكن هند حامل. هل ينتظرون أن تنجب ثم يقتلوه ليرثوه؟

هل يفعلون معه ما زعموا أن أبوه قد فعل. لكن أبوه قتل أمه . كيف لأبوه أن يتحصل كل هذه الأموال. لا بد أن أمه ماتت وقد ورثها.

حاول دفع الأفكار عن رأسه. وعاش مع هند في سعادة. لكن بعد فترة ، بدأ يشعر أن هناك شيئا خاطئا. كانت هند تسأله كثيرا عن مصادر دخله وحساباته البنكية. بل وبدأت فاطمة تضغط عليه ليوقع على بعض الأوراق التي لا يفهم مضمونها، كانت تقول إنها أوراق روتينية لإدارة شؤون الأسرة والطفل الجديد"

فالجمل مفككة تكاد تقترب من طريقة حكي المبتدئين، وتبدو صيغتها تقريرية كما لو كانت تقريرا عن حادث طريق، إضافة للكثير من الأخطاء النحوية والتركيبية

واللغوية، ناهيك عن الحبكة القصصية وأساليب السرد التي يتكشف ضعفها لأي خبير أو قارئ أو متذوق للأدب.

وهذا ليس سوى مثال من الرواية، ولن يختلف كثيرا إذا ما استعرضنا أمثلة من الروايات الأخرى المكتوبة باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي المتداولة حتى الآن، ومنها الشات جي بي تي، وهو الأمر الذي يختلف تماما عن تجربة الكتابة الإبداعية والروائية التي كان كتابها مبدعين في الأساس، وكان الذكاء الاصطناعي موضوعا روائيا يدور حوله الحكي، حيث جاءت مثل هذه التجارب قوية ومتمكنة ورصينة في إبداعها كما يتضح من خلال العودة للأعمال الروائية التي سبقت الإشارة إليها لإبراهيم فرغلي وعبدالواحد استيتو وغيرهم.

الخاتمة:

وبعد بدا واضحا من خلال ما سبقت معالجته أن التقاطع بين التخييل البشري والذكاء الاصطناعي غدا واقعا لا يمكن الفكاك منه، وأنه إذا كانت هناك -اليوم- بعض الآراء الرافضة للإبداعات الروائية أو الشعرية أو الفنية عموما، والناتجة عن الذكاء الاصطناعي، فإن مبعث ذلك أن هذه الآراء قد نشأ أصحابها في سياق ثقافة الإبداع البشري وتجلياته التي أسست لميراث من الذوق الإنساني الرفيع، وعملت في الآن ذاته على الإضافة لهذا الميراث وإثرائه بما يعرفه أهل التخصص متمثلا في تطوير وتطور النوع الأدبي الواحد، ومنه على سبيل المثال، الحكي العادي، والحكي الأسطوري، والذي تطور إلى الحكي الخرافي، وقصص ألف ليلة وليلة، الذي نتج عنه الحكي الفني والقصص المحبوك، والذي أنتج المقامة والبابة وغيرها من أشكال وسيطة، ثم تطور كل ذلك لينتج لاحقا الفن الروائي، وما نتج عنه من أشكال مثل النوفيلا (الرواية القصيرة)، وما نتج عنه من تصنيفات موضوعية (مثل الرواية التاريخية، ورواية الديستوبيا، ورواية البيكاريسك، وغيرها).

كل ذلك كان نتاج التطور والإبداع البشري الذي تشكلت له جماليات تتواصل مع أرواح البشر وتثري الوجدان وتثير في العقل أبعادا من الفكر الذي يحاكي الفكر الفلسفي بأشكال متنوعة.

أما الإبداع الناتج عن الذكاء الاصطناعي، فإنه يبتعد عن كل ما سبق كثيرا، مما يجعله مفتقدا لأشياء عديدة في روحه وجمالياته وقدرته على التواصل مع أولئك الذين نشأوا في سياق ثقافة الإبداع البشري.

لكنه من جهة أخرى، فإن الأجيال التي لم تنشأ في سياق الإبداع البشري وتجلياته، وإنما نشأت من الأساس في سياق الوعي بالإبداع المعتمد على الذكاء الاصطناعي، هذه الأجيال سوف تتشكل ذائقتها على هذه الأنواع من الآداب، وربما ترى فيه الجمال، وتجد معه كل أشكال التواصل المتناسبة مع حياتهم المعتمدة من الآن على الوجود الافتراضي، والصداقات الافتراضية، والواقع المعزز بكل أبعاده وتفاصيله من الأساس.

فهل سيتطور الذكاء الاصطناعي بالفعل ليتمكن من الهيمنة على أشكال الأدب كما تطور ليهيمن على الأجهزة والآلات وكل تفاصيل الحياة البشرية الآن، بما أوصل الإنسان لمرحلة عدم قدرته على الاستغناء عن الأجهزة الذكية، والتطبيقات الذكية، والحياة المعتمدة في كل تفاصيلها على ذكاء الآلة؟

هذا ما سيحتاج منا لدراسات واعية متأملة في الإبداع والفنون والعلوم والثقافة وبيئة المعرفة بشكل عام.